

١١ - هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

حبة القريب

إنكم لتعطفون على القريب ، وتعبرون عن عطفكم بتزويق الكلام ، أما أنا فأقول لكم إن محبتكم للقريب إن هي إلا أنانية مضللة .

إنكم تلجأون للقريب هرباً من أنفسكم ، وتريدون أن تعدوا هذا العمل فضيلة ، وهل يخفى على كنه تجردكم هذا ؟ إن المُخاطب أقدم من المتكلم ، فالأول مقدس أما الثاني فلم يقدس بعد . ذلك هو السبب في عطف الإنسان على قربه . إن ما أشير به عليكم هو أن تنفروا من القريب لا أن تحبوه لتمكنوا من حبة الإنسان البعيد ، فإن ما فوق حبة القريب حبة الإنسان البعيد المُتَظَر ، وإن أضع فوق حبة الإنسان حبة الأشياء والأشباح .

إن الشبح الذي يعدو أمامك ، يا صديقي ، هو أجل منك ، فلماذا لا تعيره لحبك وعظمتك ؟

لقد استولى الخوف عليكم فلذلك تفزعون إلى القريب . لا قبل لكم باحتمال أنفسكم وما حبكم بالحب الكامل ، لذلك أراكم تظمحون إلى إغواء قريبيكم لتمتعوا بضلاله .

أتمنى أن تنفروا من جميع فئات الأقربين ومن جيرانهم أيضاً لتضطروا إلى إيجاد الصديق الذي يطفح قلبه بالاخلاص . إنكم لتدعون شهوداً عند ما تريدون أن تغدقوا الثناء على أنفسكم ، وإذا ما توصلتم إلى تضليلهم ليحسنوا الظن بكم تبدأون حينئذ بإحسان الظن بأنفسكم .

ما من أحد يرتكب الكذب إلا إذا تكلم ضد ضميره ؛ فأصدق الناس من لا ضمير له يحول دون قوله الصدق . على هذه القاعدة تتكلمون عن أنفسكم بين الناس لتضللوهم في حقيقتكم . يقول المجنون في نفسه : (إن مخالطة الناس تفسد الأخلاق ،

بل هي تفسد بخاصة من لا خلاق لهم)
إن منكم من يهرع إلى جاره ليفتش عن نفسه ، ومنكم من يذهب إليه لينساها . انكم تسيئون بحبة أنفسكم ، لذلك يصبح انفرادكم بمثابة سجن لكم .

إن الغائبين يؤدون ثمن حبكم للقريب ، لأن خمسة يجتمعون منكم يقضون دائماً على السادس الغائب .

إني لا أحب أعيادكم ، إذ رأيتها مليئة بالممثلين ، ورأيت النظارة أبرع منهم تمثيلاً .

لا أدعوك إلى حبة القريب ، بل أدعوك إلى حبة الصديق . فليكن الصديق لكم مظهر جوار الأرض ، فتحسبون بما ينبتكم بالإنسان الكامل .

أوصيكم بالصديق يطفح قلبه إخلاصاً ؛ غير أن من يطمح إلى الظفر بمثل هذا القلب يجب عليه أن يكون كالأسفنجة قادراً على تشرب السائل المتدفق . أوصيكم بالصديق الذي يحمل عالماً في نفسه ، فهو الصديق المبدع الذي يسعه أن يقدم لكم هذا العالم في كل حين ، فيعرض عليكم ما مرّ به من عبر الحياة ، فتشهدون كيف يتحول الشر إلى خير ، وكيف تنتهي الصدف بكم إلى غاياتكم .

ليكن المستقبل والمقاصد البعيدة ما تصبو إليه في يومك ، فتحب في صديقك الإنسان الكامل ، وتضعه نصب عينيك كغاية لوجودك .

لا أشير عليكم بحبة القريب أيها الاخوة ، بل حبة الآتي البعيد .

هكذا تكلم زارا . . .

طرق المبرع :

أتقصد العزلة يا أخي لتجد الطريق التي توصلك إلى ممكن ذاتك ؟ إذن ، قف قليلاً في ترددك واصغ إلى :

لقد قال القطيع : (من قش فقد تاه ، ومن انعزل فما آمن العثار) .

وأنت قد عشت طويلاً بين هذا القطيع ، ولسوف يدوى صوته ملياً في داخلك . فإذا قلت له : - لقد تغير ضميري جانحاً عن ضميرك - فلن تكون إلا شاكياً متألماً .

إن اشتراكك بالشعور مع القطيع قد أورتك هذا الألم، وآخر وهج من هذا الضمير المشترك لا يزال يلهب خيبتك فيجددها. ولكنك ترغب في اتباع هاتف آلامك لأنه يقودك إلى التوغل في ذاتك، فأين برهانك على حقك في المضى إليها وعلى أنك قادر على هذا السفر - أفأنت قوة جديدة وحق جديد؟ أأنت حركة ابتداء؟ أأنت عجلة تدور على ذاتها؟ أبوسعك أن تجعل النجوم تدور حولك؟

لستم من طموح يتحفر نحو الأعلى، ولكم من طمع يرتعش في أمانيه، فأثبت لي أنك لست من الطامحين الطامعين. إن كثيراً من ساميات الأفكار لا تعمل إلا عمل الأكر المتفخمة فلا تكاد تتضخم حتى يحكمها الضمور.

إنك تدعو نفسك حراً، فقل لي ما هي الفكرة التي تقيمها مبدأ لك. ولا تكتم بقولك إنك خلعت نيرك، فهل كنت ياترى ذا حق بخلفه؟ إن من الناس من يفقدون آخر مزية لهم إذا هم انعتقوا من عبوديتهم.

لايهم زارا أن تقول له من أية عبودية تحررت، فلتعلن له نظراتك الصافية للغاية التي تحررت من أجلها

هل بوسعك أن تسنّ لنفسك خيراً وشرها فترفع إرادتك شريعة تسود أعمالك، أبوسعك أن تكون قاضياً على نفسك وأن تكون منتقماً منها لشريعتك؟

إنه لأمر مربع أن يبقى الإنسان منفرداً مع من أقامه قاضياً عليه ومنتقماً منه بالشرعية التي أوجدها. إن مثل هذا الإنسان ليذهب في الفضاء ذهاب الكوكب مقذوفاً إلى فراغ الوحدة وصقيعها.

إنك وقد أصبحت منفرداً لانزال تنألم من المجتمع لأنك لم تطرح شجاعتك ولم يزل للأمل مرتع فيك. غير أنك ستعيب من انفرادك يوماً، إذ تلين قناتك، وينحطم غرورك فلا تنالك من الهتاف قاتلاً. إني أصبحت وحيداً فريداً

سيأتى يوم تحتجب فيه عظمتك عنك فتلتصق صغارتك فيك حتى لترتجف فرحاً من تساميك نفسه إذ يبدو أمامك كشيخ مرعب فتصرخ قاتلاً (كل شيء باطل)

إن في المنفرد عواطف تطمح إلى القضاء عليه، فإن لم تنل

منه نالت من نفسها وانتحرت. فهل أنت مستعد لارتكاب جريمة القتل؟

أتعرف. يا أخى، معنى كلمة الاحتقار، وما ستكون آلامك إذا أنت أردت العدل واضطرت إلى الاقتصار من يحتقرونك؟ إنك تُكره الكثيرين على تغيير اعتقادهم فيك، فتثير حفيظتهم عليك. لقد اقتربت منهم ثم تجاوزتهم، فهم لذلك لن يغفروا لك.

لقد تفوقت عليهم، فكلمنا اعتليت فوقهم ازدادت صغارا في أعين الحاسدين. وما كرهه الناس أحداً كرههم للحلق فوق السحاب.

لقد وجب عليك أن تقول للناس: - إني اخترت طلبكم نصياً حق لي منكم، لذلك عز إنصافى عليكم. إن الناس يرشقون المنفرد بالمظالم والمثالب، ولكنك إذا كنت تريد أن تصبح كوكباً فعليك أن ترسل أنوارك حتى إلى الراشقين.

واحترس بخاصة من أهل الصلاح والعدل لأنهم يتوقون إلى صلب من يوجد فضيلة لنفسه. إنهم يكرهون المنفرد.

واحترس أيضاً من السذاجة المتقيّة، لأنها ترى الكفر في كل إنسان لا يلتصق بها. وقد كان الساذجون في كل زمان يتوقون إلى إيقاد النار واللعب بها.

كن على حذر من التطرف في حبك، فإن المنفرد يمد يده متسرعاً لمصاحفة من يلتقى في طريقه. إن من الناس من يجب عليك ألا تمد إليهم يداً، بل مخلباً ناشباً.

غير أن أشد من تصادف من الاعداء خطراً إنما هو أنت وما يترصدك في المغاور والغابات إلا نفسك.

لقد تبينت الطريق الذى يقودك إلى ذاتك. أيها المنفرد، وطريقك منبسط أمامك وأمام شياطينك السبعة. فتصبح منذ الآن جاحداً لنفسك، ساحراً مجنوناً، مشككاً كافراً شريداً. فيجب عليك أن ترضى بالاحتراق بلهبك إذ لا يمكنك أن تجد مالم تشتعل حتى تصبح رماداً.

إنك تتبع طريق الخالق، أيها المنفرد، فأنت تفتش على إله لك تقيمه من شياطينك السبعة. إنك تتبع طريق العاشق، أيها المنفرد، وقد عشقت نفسك، فأنت لذلك تحتقرها احتقار العاشقين.

يريد العاشق أن يتدع لانه يحتقر ، وما له أن يدعى الحب إذا كان لم يبدأ باحتقار المحبوب .

توغل في عزلتك ، يا أخى . سرفلا رفيقك إلا حبك وإبداعك . إنك ستسير طويلا قبل أن تقفو العدالة أترك متعارجة . اذهب إلى عزلتك فأنتى أشيعك بدموعى يا أخى ، لأننى أحب من يتفانى ليوجد فى فئانه من يتفوق عليه .

هكذا تكلم زارا

السبى والغفلة

لماذا تدلج محتفياً فى الفسق يا زارا ؟ وما هو الذى تخفيه بكل احترام تحت ردائك ؟ أكنز وُهبته أم طفل رُزقه ؟ وإلى أين تتجه على طريق اللصوص يا صديق الأشرار ؟

فاجاب زارا : — والحق يا أخى ، أن ما أحمل إنما هو كنز وُهبته ، فهو حقيقة صغيرة طائشة كالطفل ، ولولا أنتى كيمت فيها لصاحت بملء شديها .

بينما كنت أسير اليوم منفرداً فى طريقى عند الغروب ، التقيت بشيخة ناجتى قائلة : —

لقد كلمنا زارا مراراً نحن النساء ، ولكنه لم يتكلم عنا مرة واحدة .

قلت لها : — يجب ألا يتكلم عن النساء إلا للرجال . فقالت : — لك أن تتكلم أماًى عن النساء لأننى بلغت من العمر أُرذله فلن تستقر أقوالك فى ذهنى .

وقبلت رجاء المرأة العجوز فقلت لها : — كل ما فى المرأة لغز ، وليس لهذا اللغز إلا مفتاح واحد وهو كلمة (الحب)

ليس الرجل للمرأة إلا وسيلة ؛ أما غايتها فهى الولد ، ولكن ما تكون المرأة للرجل ياترى ؟ إن الرجل الحقيقى يطلب أمرين : المخاطرة واللعب ؛ وذلك ما يدعو إلى طلب المرأة ، فهى أخطر الألعاب .

خلق الرجل للحرب ، وخلق المرأة ليسكن الرجل اليها ، وما عدا ذلك فجنون ، ولا يجب المحارب الثمرة إذا تهاوت حلاوتها ، فهو لذلك يتوق إلى المرأة لانه يستطيع المراهرة فى أشد النساء حلاوة

تفهم المرأة الطفل باكثر مما يفهمه الرجل ؛ غير أن الرجل أقرب إلى خلق الطفل من المرأة ، فى كل رجل حقيقى يحتجب طفل يتوق إلى اللعب . فلتعمل النساء على اكتشاف الطفل فى الرجل .

تسكن المرأة لعبة صغيرة طاهرة كالملس تشع فيها فضائل العالم المنتظر .

ليتوهج الكوكب السنى فى حبك أيتها المرأة ، وليهتف شوقك قائلاً : لأضعن للعالم الانسان الكامل . ليكن فى حبك استبسال تتسلحين به لاقتحام من يثير الوجل فى قلبك . ضعى شرفك فى حبك ، وما تعرف المرأة من الشرف إلا يسيراً ؛ غير أن الشرف فى حبك هو الخلق الذى يجعلك تبادلين المحبة بأكثر منها فلا تنحدرين إلى المقام الثانى

ليحذر الرجل المرأة عند ما يستولى الحب عليها ، فهى تضحي بكل شىء فى سبيل حبها ، إذ تضمحل فى نظرها قيم الأشياء كلها تجاه قيمته ، ليحذر الرجل المرأة عند ما تساورها البغضاء ، لانه إذا كان قلب الرجل ممكناً للقسوة . فقلب المرأة ممكن للشر إلى من توجه المرأة أشد بنضائها ؛

والجواب فى قول الحديد للقوة الجاذبة : — إن أشد كرهى موجه إليك لأنك تجتذنين ولا طاقة فىك لتربط على ما تجتذنين .

إن سعادة الرجل تابعة لأرادته ؛ أما سعادة المرأة فتوقفة على إرادة الرجل .

تقول المرأة وقد استسلت لحبها العميم : لقد اكتمل العالم . ولا بد لها أن تخضع وأن ترى أعماقاً على سطحها ، لأن روح المرأة سطحية ، فهى صفحة ماء متواجرة تداعبها الرياح ، فى حين أن روح الرجل أعماق تزجر أمواجها فى المغاور السحيقة القرار ؛ وقد تشعر المرأة بقوة الرجل ولكنها لن تفهمها

عندئذ قالت العجوز : لقد تكلم زارا عن أشياء طريفة أجدر بسامعها من النساء من لم يزلن فى مستقبل العمر . ومن الغريب أن ينطق زارا بالحق عند ما يتكلم عن النساء وهو لا يعرفهن إلا قليلاً . أف تكون إصابته ناشئة عن أن ليس فى حالة المرأة شىء ممنوع

والآن اصغ إلى يا زارا ، فأننى سأعلن لك حقيقة صغيرة مكافاة على ما قلت ، وكبر سنى يجيز لى أن أعلنها لك ، فاسترعها وأطبق شفيتك عليها لثلا يتعالى صراخها من فك

قلت هاتما ، هذه الحقيقة الصغيرة أيتها المرأة . وهذا ما قالت العجوز : —

— إذا ما ذهبت إلى النساء فلا تنس السوط . هكذا تكلم زارا . . .

فليكس فارسى

(يبيع)